اجتهادات
احترام الآخر كما هو

الارتباط وثيقُ بين احترام الآخر والتسامح والتنوع. مفاهيمُ ثلاثة يصعب فصلها، ولكنها تفصِلُ بين الإنسان الذى يعرف أن الاختلاف من سمات الطبيعة، فضلا عن كونه إحدى سُنن الله فى خلقه، والكائن البشرى الذى لا يطيقُ أدنى اختلاف فى القيم أو الأفكار أو المواقف, ويظنُ أن فى الإمكان استئصال الآخر.

يبدو استحضار هذا الفرق مفيدًا سواء كان الاختلافُ كليًا أو جزئيًا. فقد نختلفُ مع شخصٍ فى بعض مواقفه، ونقبلُ أو نرحبُ ببعضها الآخر. وربما تكونُ هذه حالةُ كثيرٍ من العرب الذين يعرفون عن الكاتبة الرائعة آنى أرنو التى أُعلن فوزها بجائزة نوبل للآداب قبل أيام. من الطبيعى أن يعجبهم دعمها القوى لقضية فلسطين ومناصرتها حركة مقاطعة إسرائيل، مثلما أيدت فى شبابها قضية الجزائر وطالبت باستقلالها. ولكن يُغضبهم فى المقابل دفاعها عن حق المرأة فى إجهاض نفسها، ومشاركتها فى السعى إلى هذا الحق, وهى التى اضطرت إلى إجراء عملية إجهاض غير قانونى فى الستينيات حين كانت طالبة، قبل إصدار القانون الذى قننُ هذا الحق عام 1975.

أىُ الموقفين، إذن، يغلبُ الآخر لدى العرب الذين يرفضون الحق فى الإجهاض، وهم كُثر بما لا يُقاس، ويقفون مع فلسطين وشعبها, وهل يفرحون لمنح أرنو الجائزة العريقة، أم يغضبهم أن تذهب إلى من يرفضون مواقفها تجاه قضايا أخرى، أم لعلهم يُلزمون مشاعرهم بالحياد لكىلا تُجهدهم الحيرة؟

غير أن السبيل إلى الخلاص من هذه الحيرة ومثلها فى حالات غير قليلة، هو احترامُ الآخر كما هو رغم الخلاف معه، وإدراك أنه لا يعنى قبولا بمواقف المُختَلَف معه، بل انتصار لأحد أكثر المبادئ رقيًا فى تاريخ البشرية.

وربما كان فى لجنة منح الجائزة من يختلفُ مع أرنو فى موقف أو آخر، بل هذا مرجح لأنها يساريةُ راديكالية بامتياز. لكن اختلاف أعضاء اللجنة معها لم يحل دون احترام قدراتها والإقرار بجدارتها وإسهامها الذى لا يكاد يُضاهى فى تحويل حياتها الشخصية ومحيطها الاجتماعى إلى مادةٍ صاغت منها أعمالاً أدبية بحرفية وشجاعةٍ يقلُ مثلهما.